

كلمة صاحب الجلالة لده زيارته لجامعة جورج تاون الأمريكية

القى صاحب جلالة الملك الحسن الثاني، محفوفاً، خلال زيارته لجامعة جورج تاون الأمريكية، بصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وصاحبة السمو الملكي الأميرة للاحسان، يوم 6 شوال 1415هـ الموافق 17 مارس 1995م. كلمة عبر فيها عن تأثر جلالتهم بحوار الاستقبال وبالامتياز الذي تشرف به من هذه الجامعة.

باسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله. ما أسهل الشكر عندما تصدر دالة الجميل من أصدقاء قدامى أوفياء مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي تربطها ببلادي صداقة عريقة في التاريخ. ولكم هو بليغ الأثر في نفسي هذا الاستقبال الذي تخصصونه لي وهذا الامتياز الذي تشرفونني به خاصة وأنا أعلم حق العلم الشهرة التي تتمتع بها جامعتكم في أمريكا والعالم كله.

ولقد كان الفلاسفة اليونانيون يقولون عن فن الملك - أو فن الحكم - إنه فن يشتمل على ما يكفي من المعرفة للفنون الأخرى. وهذا هو الفن الذي شامت الإرادة الإلهية أن تسند الي ممارسته منذ أربع وثلاثين سنة. وبحكم التجربة أصبحت أعلم أن هذا الفن يتطلب معرفة متجددة باستمرار للقانون والدبلوماسية والاقتصاد وحتى الطب. أو ليست هذه المواد الأساسية هي نفسها التي تدرسها جامعة جورج تاون التي تكون فيها وتخرج منها العديد من العلماء البارزين والأطر المسيرة العالية وأولئك الرجال والنساء الذين اشتهروا بمؤلفاتهم أو بأعمالهم.

وفي هذه الجامعة يستثمر كذلك فن تقدره حق قدره العلاقات بين الشعوب، إنه فن الذاكرة. ولا يزال المغرب - يحتفظ باعتزاز ضمن كنوز ذاكرته - بالرسالة التي بعث بها جورج واشنطن إلى جدنا محمد الثالث في فاتح دجنبر 1789 م - سنة إنشاء جامعتكم، جامعة الفنون والعلوم - وقال فيها: خلال فصل الشتاء الذي يقترب ستجتمع مؤسستنا

الوطنية التي أخذت اسم ماكان يعرف سابقا بالكونغريس وسأخذ جميع الاجراءات اللازمة للحفاظ على ما بين بلدينا من علاقات وتنميتها بما يرضي جلالتكم ويستجيب لرغبات الأطراف المعنية. وأسأل العلي القدير أن يديم على جلالتكم نعمة الاشعاع وسابغ الرعاية .

ذلكم لأن مما لايزال المغرب يفتخر به أنه كان الدولة العظمى الأولى التي اعترفت بالأمة الأمريكية الناشئة التي يقول عنها واشنطن في نفس الرسالة. إن أرضنا لا تحتضن معادن ذهب ولا معادن فضة. وأمتنا الفتية التي تتخلص بجهد ومشقة مما أصابها من خسائر ودمار نتيجة حرب طويلة لم يتوفر لها بعض الوقت لتحقيق ثراها بتنمية فلاحتها وتجارتها غير أن أرضنا سخية بعطائها وشعبنا مثابر على العمل وهو ما يجعلنا نفخر بحق بأننا سوف نتمكن تدريجيا من أن نصبح مفيدين لاصدقائنا.

وخلال القرنين الماضيين لم يطرأ مايكدر صفو الصداقة التي ربطت بيننا. وقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدولة العظمى الواسعة النفوذ عبر العالم والمحسودة من البعض ومرهوبة الجانب من البعض والملجأ والملاذ للبعض الآخر. أما المغرب فقد ثابر على أن يبقى نفسه وذاته متدرجا الى ماوصل اليه. وإن الجغرافية قضت أن يوجد بلدنا في ملتقى بحرين وقارتين في النقطة التي يتصل فيها البحر الابيض المتوسط بالمحيط الأطلسي وحيث توجد أوروبا أقرب ماتكون الى افريقيا.

إن المغرب بلد إفريقي له جذور عميقة في القارة الافريقية. وشعبي يتوجه ببصره نحو الشرق في اتجاه الحرم المكي المقدس لأداء صلواته الخمس في كل يوم. وإلى الشمال الى أوروبا تتجه مبادلاتنا التجارية وتنتفع على المعاصرة. وبما أن تاريخنا الهجري يعتمد الشهر القمري فإننا نرتد بأبصارنا في آخر كل شهر الى الغرب لمراقبة ظهور الهلال.

ولعل موهبة التنوع هذه هي التي جعلت شعبنا يطبق دائما - واليوم أكثر من اي وقت مضى - تعاليم الاسلام الحق، دينا معتدلا بعيدا عن الغلو الذي يشوه صورة الاسلام المتسامح الذي يتطابق ومبادئ الكتاب الحنيف . وفي هذا المجال كان اجدادنا يحيطون دائما برعايتهم يهود المغرب الذين كثيرا ماكان من بينهم من يدعى الى مهام

حكومية. ولا أظن أن هناك من ينكر الجهود السرية والعلنية التي كثيرا ما بذلناها شخصيا منذ عشرين سنة لتسهيل ذلك التصالح بين الاسرائيليين والفلسطينيين الذي تم هنا بواشنطن.

كما أن المسيحيين يتمتعون ببلدنا باعتبار كبير وقد حرصت على إعطاء الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالمغرب وضعية مؤسسية. وبصفتي قائدا إسلاميا وسليل الرسول محمد عليه السلام فقد سعدت كثيرا باستقبال قداسة البابا جان بول الثاني بالدار البيضاء الذي كنت قد زرته من قبل بروما والذي أكن له الاحترام والمودة. إننا جميعا أبناء ابراهيم.

إن ما ينتظر رمزيا من أي شخص مرشح لنيل الدكتوراه هو أن يلقي درسا جامعيا افتتاحيا. وسيكون درسي وجيزا جدا لا يتعدى كلمتين هما... لأبدا، لأبدا لتقسيم العالم الى كتلتين كما وقع اثر الحرب العالمية الثانية.

لأبدا للمواجهة بين عملاقين كل منهما يفرض احترامه على الآخر عن طريق التوازن المرعب ويتحاربان بواسطة قوات ثانوية وسيطة.

لأبدا للحرب الباردة التي أدت الى حروب حامية في عدة نقط من المعمور.

وإذا كان الاستعمار قد قضى عليه طبقا لروح ميثاق الأمم المتحدة والتصريح العالمي لحقوق الانسان ولكن تم ذلك بصفة غير مرضية. وإذا كان التخلف والبؤس والمجاعة ظواهر ماتزال تنهك عدة أمم بعدما تحررت من الحجر الاستعماري فان هذه الدول الحديثة وجدت نفسها مرغمة على الخيار بين القوتين العظميين مما تحول بالنسبة للعديد منها الى الانتقال من حجر الى حجر من نوع آخر.

وفعلا، فغالبية هذه الدول الناشئة دارت في فلك الاتحاد السوفياتي مما أدى الى انتشار أنظمة الحزب الوحيد دونما تمثيل نيابي ولا حرية للإعلام. ولم تزودها الكتلة الشرقية إلا بوصفات للدكتاتورية وللإقتصاد الموجه الذي أدى بها الى الخصاص. غير أن الكتلة المذكورة وزعت عليها - عوض ذلك وبكثرة - العتاد العسكري. وهو ما حمل الدول التي كانت تميل الى الكتلة الغربية على تبديد إمكانياتها في التسلح.

أما النزاعان اللذان زجت فيهما الدولتان العظميان مباشرة بجيوشهما - الولايات المتحدة في الفيتنام والاتحاد السوفياتي في افغانستان - فقد انتهى نهاية مؤسفة.

وإذا كانت للماركسية التي أخطأت فكرا برفضها للقيم الدينية قد انهارت في أوروبا والاتحاد السوفياتي قد تلاشت تاركة روسيا مؤقتا في الفوضى السياسية والاقتصادية. وإذا كانت الصين مع احتفاظها بالبنيت الشيوعية قد تفتحت على اقتصاد السوق فلا يعني هذا كله من أن نبقي بقطين وأن لانتهاون ونحن نظن أن كل شيء قد انتهى.

فلا شيء له نهاية في التاريخ البشري وليست بضع سنين بحقبة كافية للتبصر في شؤون العالم وإنما نحن في حاجة لعدة عقود لأننا مسؤولون عن حياة أبنائنا مدة ثلاثين أو خمسين سنة. كما أن تدبير مستقبل الشعوب يتطلب مائة سنة. ولاشي يضمن لنا أن الإنسانية قد لا تراودها من جديد ولو في ظروف مغايرة. هواجس التكتل العدائي الذي يؤدي إلى نفس العواقب وإلى نفس الكوارث. فهذا هو الخطر الذي علينا أن نحتاط له باستمرار.

لأبدا هذه هي الرسالة البسيطة التي أريد أن أوجهها للنخبة المقبلة التي تتكون في سائر الجامعات الكبرى.

وإنني لمثون لجامعة جورج تاون المجيدة التي أعطتني الفرصة لذلك في هذا اليوم الذي سيبقى خالدا بذاكرتي.